هوامش

يمثّل الشعر شغفاً لدى الإيرانيين وملجأ لقراءة الطالع؛ إذ يذهبون إلى ضريح الشاعر حافظ الشيرازي، الذي عاش في القرن الخامس عشر، ويبحثون عن طالعهم في أبيات قصائده

امام ضريح حافظ الشيرازي (عطا كيناري / فرانس برس)

حافظ الشيرازي

ما تخبّئه القصائد من أسرار وطوالع

باختصار

في كل مساء، عند حلول الظلام، يتجمع معجبون وفضوليون حول ضريح حافظ ذي القبة المشيدة من حجر اليشب، في إحدى حدائق مدينة شيراز

■■■

تشكّل قراءة قصائد حافظ الشيرازي أحد تقاليد الاحتفالات برأس السنة الفارسية الجديدة، أو ما يعرف بعيد النوروز، في بداية الربيع

■■■

تعكس هذه التقاليد شغف الإيرانيين العميق بالشعر الفارسي، الذي يحتل مكانة في المحادثات اليومية، وكذلك في الخطب السياسية

أمام ضريح حافظ الشيرازي، أحد أشهر الشعراء في إيران، تقترب، من أحد العرافين، ميترا القلقة على مصير ابنها المُقبل على الزواج، فيبدّد العرّاف مخاوفها عبر قراءة الطالع في خبايا قصيدة عمرها ستة قرون. ترددت ميترا (61 عاماً)، لفترة طويلة في الإقدام على هذه الخطوة، رغم أنها، شأنها في ذلك شأن كثير من الإيرانيين، كانت تؤمن منذ فترة طويلة بالقدرات الاستشرافية لشعر حافظ، أحد أكثر الشعراء الفارسيين تقديراً في البلاد. في كل مساء، عند حلول الظلام، يتجمع معجبون وفضوليون حول ضريح الشاعر ذي القبة المشيدة من حجر اليشب، في إحدى حدائق مدينة شيراز في جنوب إيران، حيث وُلد حافظ وعاش في القرن الرابع عشر. توضح ميترا: «قررت أخيراً طلب المشورة اليوم بسبب شكوك تراودني حول الأسس التي يُبنى عليها زواج ابني». ولهذه الغاية، تحدثت ميترا إلى ما يُعرف بالـ«فالكير»، وهو عرّاف من بين خمسة أو ستة عرضوا خدماتهم في الحديقة في ذلك المساء. فتح الرجل، عشوائياً، ديواناً شعرياً لقصائد حافظ الشيرازي، وتلا بعضاً من أبياته التي غالباً ما تمتزج فيها التعبيرات الصوفية والاستعارات، مفسّراً معناها. لم يستمر الحديث حول «فأل حافظ» سوى بضع دقائق، لكن ذلك كان كافياً لتشعر ميترا بالارتياح. وتقول: «لقد استعدتُ الأمل أخيراً».

يستطيع مصطفى إسكندري، وهو عرّاف (فالكير) يبلغ 67 عاماً، قراءة أعمال حافظ عن ظهر قلب، وقد دأب على تأديتها منذ ثلاثة عقود. ويوضح أن «قصائد حافظ غامضة وتحمل أوجه تفسير متعددة»، مضيفاً: «إذا جاء ألف شخص بسؤال وفتحوا الكتاب معاً، سيحصل كل منهم على إجابة مختلفة». ينتظر العرّافون الآخرون في الحديقة، واضعين ببغاءً يغرّد على أكتافهم، ويقدّمون للزوار مظاريف ملونة. ومقابل أجر زهيد، يختار «طائر الحب»، بحسب ترجمته الفارسية، بمنقاره ظرفاً يحتوي على بطاقة مطبوعة بأبيات للشاعر. يقول حميدة، وهو مدرّس كيمياء يبلغ 44 عاماً: «أطلب المساعدة من حافظ بانتظام وأستشيره»، مضيفاً: «لا أستطيع أن أشرح ذلك بعقلانية، لكنّها حاجة بالنسبة لي». وبقي حافظ، الذي تطرّق بإسهاب في أشعاره إلى موضوعات الحب والحزن والخمر، من الشخصيات المقدّرة في إيران حتى بعد الثورة الإسلامية عام 1979، رغم تشديد القواعد الاجتماعية في البلاد مذاك، بما يشمل خصوصاً حظر الكحول. ولكن قبل بضع سنوات، انتقد أحد كبار رجال الدين «فأل حافظ»، باعتباره تقليداً «ليس له أساس في الشريعة الإسلامية»، وحثّ المؤمنين على عدم «اتباع عرافة حافظ».

وتشكّل قراءة قصائد حافظ الشيرازي أحد تقاليد الاحتفالات برأس السنة الفارسية الجديدة، أو ما يعرف بعيد النوروز، في بداية الربيع، وأيضاً خلال شب يلدا، عيد الانقلاب الشتوي. وتقول مريم يوسفي، وهي ربة منزل تبلغ 46 عاماً: «نبدأ العام دائماً بقصائد حافظ لنرى ما تخبئه لنا». أبعد من مجرد قراءة الطالع، تعكس هذه التقاليد شغف الإيرانيين العميق بالشعر الفارسي، الذي يحتل مكانة في المحادثات اليومية، وكذلك في الخطب السياسية. ويذهب بعض الإيرانيين إلى حد نسج أبيات عن الحب والروحانية على السجاد، أو نقشها على المجوهرات، أو كتابتها بخطّ زخرفي على اللوحات الإعلانية. ومن بين الشعراء البارزين سعدي الشيرازي، الذي لا يزال نثره الغنائي العائد للقرن الثالث عشر حياً في نظر معجبيه، وأبو قاسم الفردوسي، مؤلف ملحمة الشاهنامه (كتاب الملوك)، الذي يُبرز تراث إيران ما قبل الإسلام، من خلال حكايات أسطورية. يلخص فرشاد، وهو طبيب يبلغ 41 عاماً من تبريز (شمال غرب)، خلال زيارته شيراز، هذا الإرث الشعري الغني قائلاً: «إنهم شخصياتنا الوطنية وأعمدة ثقافتنا». في بداية القرن العشرين، أصبح الشعر أداة قوية للاحتجاج على الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد. لكنّ أعمال المؤلفين المنشقين، مثل أحمد شاملو، وفروغ فرخزاد، وسيمين بهبهاني، كانت تخضع إلى رقابة شديدة حتى قبل الثورة الإسلامية. ومع ذلك، في شيراز كما في أماكن أخرى، تستمر جلسات قراءة الشعر في جذب أعداد كبيرة من المتابعين، بحسب الكاتب والشاعر أحمد أكبربور. وحتى لو لم يعد الشعر «يتمتع بالمكانة نفسها كما في الماضي، فإن الزمن سيحدد ما إذا كان تراث شعراء اليوم سيستمر»، وفق أكبربور.

(فرانس برس)

وأخيراً

الميت الحي في غزّة

سما حسن

ربما كانت أولى خبراتي بالموت تجربة موت جدتي لأمي. وقد كنتُ ربيبتها، ولشدّة حبّي لها، صدّقت إشاعاتٍ كانت تروّجها النساء المتشحات بالسواد في بيت العزاء، وفي المساء، وحين ينفضّ مجلسهن، تعود أمي لتداول تلك الإشاعات مع خالتي، وينمن والدموع في وجوههن، ويتركنني أفكر وأحملق في السقف، وأتشمّم رائحة غرفة جدّتي، وأتخيّلها قد دُفنت حيّة، وكيف سيكون حالها حين تستيقظ وتجد نفسَها في حفرة مظلمة وضيقة.

تحدّثت النساء في بيت عزاء جدّتي كثيراً عن موتى دفنوا وهم أحياء، فهناك امرأة حامل دُفنت ولم تكن قد ماتت فعلاً، ولكنها أصيبت بحالة إغماء، وظنّ الجميع أنها ماتت، حتى سمع حارس المقبرة صوت بكاء وليدٍ في ليلة دفنها، فأسرع إلى القبر وفتحه فوجد المرأة قد اعتدلت من نومتها لترضع صغيرها. وعلى الرغم من سذاجة الرواية، فإنها ظلت متداولة، وبقيتُ أفكّر كل ليلة، بدءاً من الليلة الأولى لموتها، بأن جدّتي الحبيبة لم تمت، وأنهم تعجّلوا دفنها، وقرّرتُ بيني وبين نفسي أن أذهب إلى القبر، وأقف إلى جواره، وأتسمّع جيداً لما قد يصدُر منه. وقد فعلت ذلك في أثناء عودتي من المدرسة ذات ظهيرة، وحيث خلتُ الطريق إلى المقبرة، وكانت المقبرة ذاتها صامتة وموحشة. وعرّجتُ على قبر جدّتي الذي لم يكن قد بُني بالحجر، ووقفت عند موضع القدمين وأرهفتُ السمع، ثم لم أسمع شيئاً. وبقيتُ على حالي حتى نال منّي التعب، فجلستُ ثم نال مني أكثر فنمت، ولم أستيقظ إلا على صوت جدّي وهو يلكزني، وحوله أصوات أعرفها لأشخاص تعبوا في البحث عني.

مرّت الأيام، ولم أنس تأنيب أمي وأبي لأني جازفتُ بالذهاب إلى المقبرة البعيدة وحدي. وظل لدي اتهام صامت نحو الجميع أنهم قد تعجّلوا دفن جدّتي التي أحبّها، حتى كبرتُ وعرفتُ أنني تمسّكت بهذه الإشاعة لشدّة حبي لها، ولم تتوقّف مثل هذه الإشاعات التي كنت أسمعُها في صمت. عادت تلك الذكرى المؤلمة إلى ذاكرتي قبل أيام، وشعرت بإحساس الأب الذي كان على وشك أن يدفن طفله وهو يظنّ أنه ميتٌ، مثل باقي الموتى الذين سقطوا في أحداث مجزرة النصيرات أخيراً. وفي اللحظات الأخيرة، لمح حركة ذراع طفله، فصرخ في لهفة: «لسّه عايش»، فأسرع المحيطون به إلى المشفى، وأودعوه هناك عدّة أيام حتى مات.

تركنك هذه القصّة المحزنة لحزن عميق، وقهرٍ لا يوصف، وأنت تتخيّل شعور الأب وهو يتمسّك بالأمل، بأن طفله سوف ينجو، وتتخيّل قلبه يتقافز قبل قدميه، ويهرول قبل ساقيه ليحمل طفله إلى المستشفى، ويحيا بين الأمل والرجاء، حتى يخبوا، ويعود لكي يدفن طفله ويُدرج اسمه بين أسماء الأموات. ويعتصرك الحزنُ أكثر حين تسمع عن قصة أخرى أكثر وجعاً لأب مكلوم، كان يتمسّك بخيط واهٍ من أمل، فقد أحد أطفاله بمرض السرطان قبل عامين، وفقد طفلتين في مارس/ آذار الماضي، وأصيب آخر الأبناء إصابة بليغة في رأسه، وأخبره الأطباء بأنه قد مات، فذهب لكي يحفر له قبره، وحين عاد ليحمله ويواريه الثرى وجده جالساً باكياً بين الجثث، فهرَع إليه وحملَه إلى المستشفى ثانية، وهو يردّد بصوتٍ مرتجفٍ للأطباء: «ابني لسه عايش». ... ولكن الأمل انتهى بعد أيام أيضاً حين مات الطفل، بعد إيداعه غرفة العناية المكثّفة، وعجز الأطباء عن إنقاذ حياته.

> تتردّد قصص عن الموتى الأحياء أو الأحياء الذين يموتون بعد إعلان أنهم على قيد الحياة بقليل، وأتخيّل مشاعر ذويهم

تعود ذكرى وفاة جدّتي، وتلك الإشاعة التي جعلتني أخاطر بنفسي وأقتحم عالم المقابر المخيف، بكل ما تحاك عنه من حوادث مرعبة ما بين الخيال والحقيقة. وتعود الذكرى مع كثرة القصص التي تتردّد عن الموتى الأحياء أو الأحياء الذين يموتون بعد إعلان أنهم على قيد الحياة بقليل، وأتخيّل مشاعر ذويهم، وأتخيّل مشاعرهم هم أنفسهم لو استطاعوا التعبير عن فرحتهم بعودتهم إلى أحبّتهم أم سيقتلهم الخوف ثانية، لأنهم واثقون بأنهم سيرحلون بعد فسحة من أملٍ أو مزاح ساخرٍ من الموت.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**